



مختصر خطبة صلاة الجمعة 7 / 6 / 2019 للشيخ الطيب محمد خير الشعال, في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

(خصائص التكافل الاجتماعي في الإسلام)

- التكافل الاجتماعي: هو كفالة الحاجات الضرورية لكل فرد من أفراد المجتمع، ويجد الباحث في التشريع الإسلامي خمس خصائص للتكافل الاجتماعي في الإسلام، هي:

1- للتكافل الاجتماعي في الإسلام صور متنوعة وآليات متعددة، فإن لم تفلح صورة في انتشال فقير أفلحت أخرى، وإن لم تغن آلية في إنقاذ مريض أغنت أخرى، فلو خاف إنسان على نفسه المرض أو الفقر أو الجهل، جاء أبوه لينتشله من ذلك؛ لأن نظام النفقات ورعاية الأبناء في الإسلام كفيل بذلك، فإن لم يكفله أبوه كفله ابنه ببر الوالدين والنفقة عليهما، فإن لم يفعل أو لم يسطع جاءت رحمته، فإن لم يجد رحماً جاء صاحب العمل الذي يعمل عنده، فالجار، فإن لم يفعل أحد ذلك جاءت آلية الصدقة أو الزكاة أو الوقف لتنتشله من ذلك.

2- التكافل الاجتماعي في الإسلام ليس مقصوراً على النفع المادي فقط، بل يتعداه إلى الدعم المعنوي والنفسي، فزيارة المريض وتشجيع الجنائز آليات من آليات التكافل الاجتماعي في الإسلام وقد لا يكون لها أثر مادي، لكن لها أثر معنوي، ومن لطيف الأوقاف الإسلامية وقف خداع المريض: وهو وقف ينفق فيه على اثنين من المرضى ويكلفان بالوقوف قريباً من المريض بحيث يسمعهما ولا يراهما، فيقول أحدهما لصاحبه: ماذا قال الطبيب عن هذا المريض؟، فيرد عليه الآخر: إن الطبيب يقول: إنه لا بأس به وبحالته، فهو مرجو البرء، ولا يوجد في علته ما يشغل البال، وسينفض من فراشه بعد يومين أو ثلاثة، وبذلك يعطيان المريض دعماً معنوياً له أثره الكبير في شفائه بإذن الله تعالى.

3- التكافل الاجتماعي في الإسلام يشمل جميع المواطنين، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، ذكر أبو يوسف في كتاب الخراج عن أبي بكره قال: مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بباب قوم وعليه سائل يسأل: شيخ كبير ضرير البصر، فضرِب عضده من خلفه، وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي. قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن. قال: فأخذ عمر بيده، وذهب به إلى منزله فرضخ له بشيء من المنزل، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباه؛ فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه، قال أبو بكره: أنا شهدت ذلك من عمر ورأيت ذلك الشيخ.

4- التكافل الاجتماعي في الإسلام ليس مع جيل واحد بل مع الأجيال المتتابة: فترى في نظام الوقف آلية لكفالة أناسٍ سيلدون بعد مائة سنة أو مائتين، وهو ما يسمى الوقف الذري، ويشجع نظام الوقف على إشادة المدارس والمشافي وشق الطرقات وحفر الآبار ووقفها على عامة الناس وخاصتهم، وهي منشآت تفيد منها الأجيال جيلاً بعد جيل، فست الشام أخت سيدنا صلاح الدين الأيوبي، وهي من وفيات 616 هـ بنت مدارس في دمشق درس فيها الطلاب مئات السنين بعدها، بينما أنشأت أختها مدرسة في منطقة الصالحية لا يزال طلابنا إلى اليوم يدرسون فيها تسمى مدرسة الصاحبة، وعشرات ومئات من المدارس مثلها.

5- تجاوز التكافل في الإسلام عالم الإنسان إلى عوالم المخلوقات الأخرى، جاء في كتاب الفقه الإسلامي وأدلته: (أما نفقة الحيوان: فيجب على المالك إطعام بهائمته ولو مرضت، وسقيها وربها... ويحرم عليه أن يحملها ما لا تطيق؛ لأن فيه تعذيباً للحيوان الذي له حرمة في نفسه، وإضراراً به، ويحرم أن يجلب من لبنها ما يضر بولدها؛ لأنه غذاء للولد، فلا يجوز منعه، ولأن كفايته واجبة على مالكة، ويسن أن يقلم الحالب أظفاره لئلا يؤذيها عند الحلب، كما يجب إبقاء شيء من العسل في الخلية بقدر حاجة النحل إذا لم يكفه غيره).